واقع اللغة العربية بالجزائر في غضون أهم مراحل تطورها التاريخية

The reality of the Arabic language in Algeria Within the most important stages of its historical development

د. قاسم جاخاتي
قسم اللغة والحضارة العربية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة شيخ أنتا جوب بداكار- السنغال
khassim.diakhate@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/02/19 **تاريخ القبول: 2019/07/11**

الخلاصة

لِلُّغة العربية واقعٌ خاص في الجزائر يتمحور حول أهم مراحل تطورها التاريخية في هذا القطر. ويهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على بعدها الديني الذي يكمن في كونها لغة القرآن والحديث والعلوم الشرعية. وتنبثق منه أبعادٌ أخرى فكرية وثقافية وسياسية واقتصادية. ويسعى المقال فضلا عن ذلك إلى تتبع آثار هذه الأبعاد وتحليل انعكاساتها على الحياة اليومية للجزائريين في غضون تلك المراحل.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، الإسلام، الفكر، الاقتصاد، الأبعاد، المراحل الجزائر، الدولة الرستمية، الدولة الزيانية، الاستعمار، الاستقلال، التراث، الحضارة.

Résumé

La réalité de la langue arabe en Algérie est particulière. Elle est axée sur les plus importantes périodes de son évolution historique dans ce pays. Le présent article vise à faire la lumière sur sa dimension religieuse qui réside dans le fait qu'elle est la langue du Coran, de la tradition prophétique et de la loi islamique, dont découlent d'autres dimensions dans le domaine de la pensée, de la culture, de la politique et de l'économie. Cette étude cherche d'ailleurs à suivre les traces des dimensions en question et à

analyser leurs répercussions sur la vie quotidienne des algériens au cours des étapes concernées.

Mots clés : langue arabe, Islam, pensée, économie, dimensions, étapes, Algérie, Etat rostomide, Dynastie Zianides, colonialiste, indépendance, patrimoine, civilisation.

المقدمة

لِلُّغة العربية أهميةٌ خاصّة في العالمين العربي والإسلامي، ويَرجع السببُ الرئيسي في ذلك إلى كون معرفة هذه اللغة ضروريّة على الأمة الإسلامية؛ "إذْ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب"، حسب تعبير ابن خلدون الذي قسّم أركان هذه اللغة إلى أربعة هي: اللغة والنحو والبيان والأدب[1]. وتُجَسّم هذه الحقيقةُ البعد الديني والروحي الأساسي الذي يتميز به اللسانُ العربي بالإضافة إلى أبعاد فكرية، وثقافية، وسياسية، واقتصادية، مرتبطةٍ بمختلف جوانب الحياة اليومية في القطر الجزائري منذ أمد بعيد. ويمكن توزيع فترات انتشار اللغة العربية الأساسية في بلاد الجزائر إلى ثلاث مراحل رئيسية:

1 مرحلة ما قبل الاستعمار: وقد تولّى تعليمَها ونشرَها في ذلك الزمن أفرادٌ من المتطوعين وهيئات رسمية. وكانت مصادر تمويل المؤسسات التعليمية والتربوية من أموال وممتلكات حبسية ووقفية، أو هبات. ونالت أنشطةُ الوراقين والخطاطين وتجار الكتب نصيبا وافرا من اقتصاديات التعليم. أما أهم المؤسسات التعليمية الرسمية التي شيدت في البلاد الجزائرية، في هذا العهد، فهي التي أقامتها الدولة الرستمية والدولة الزيانية.

2 مرحلة الاحتلال الفرنسي: حاول الفرنسيون في بداية الأمر القضاء على اللغة العربية وإحلال الفرنسية محلها. ولما باءت هذه المحاولة بالفشل، بسبب مقاومة الأهالي الشديدة، وضعوا مخططا لتطويع اللغة العربية وجعلها في خدمة مشروعهم الاستعماري، وخصّصوا ميزانية ضخمة لإقامة مؤسسات تعليمية وتكوينية، مثل نظام **المدرسة العربية الفرنسية**، و**المدرسة** (Medersa)، وغيرها من المدارس التي جُهزت لهذا الغرض.

3 مرحلة الاستقلال: وهي مرحلة خصبة سعت فيها الدولة الجديدة إلى إعادة الاعتبار للغة العربية وتحديث طرق ووسائل تدريسها. ووضعت في دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية بندا يجعل اللغة العربيةَ اللغةَ الوطنية والرسمية للدولة، وخَصَّصت الدولةُ الجزائرية قسما كبيرا من ميزانيتها لتعريب جميع مراحل التعليم، والوظيفة العامة، ومعظم مرافق الحياة. وأدّت رعايةُ الدولة للغة العربية إلى تقوية مركزها في ربوع البلاد.

وتدور إشكالية بحثنا حول واقع اللغة العربية وأبعادها المختلفة في الجزائر، وسنحاول تحليل كل ذلك وتوضيحه مستعملين المنهج التاريخي والوصفي. وستتقيّد خطةُ البحث بالتقسيم المتّبع في مراحل تطورها المشار إليها.

1- واقع اللغة العربية وأبعادها في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي

أ-ازدهار اللغة العربية في الدولة الرستمية

ويبدو أن أهم رعاية تمتعت بها اللغة العربية في الجزائر (المغرب الأوسط) بعد الفتح العربي الإسلامي هي التي تلقتها من الدولة الرستمية التي أسسها عبد الرحمان بن رستم (ت 171هـ/787م)، وهو قائد فارسي خارجي ينتمي إلى الفرقة الإباضية. وقد بنى عبد الرحمان بن رستم مدينة **تِيهَرْت** التي كانت عاصمة دولته، في موقع قريب من **تاقدمت**، ويقع غربي مدينة تيهرت القديمة التي أُسّست قبل الإسلام. ولم يفرض عبد الرحمان على رعايا دولته لغته الفارسية أو لغة أصهاره من قبائل البربر، بل جعل اللغة العربية اللغة الرسمية للدولة وشجّع تعليم العلوم العربية والإسلامية في بقاعها[2].

وقد كان الأمراء الرستميون أئمة في العلم كما كانوا أئمة في السياسة، وتبحّر مؤسّس الدولة في علم التفسير الذي ألف كتابا فيه، بينما برز ابنه عبد الوهاب في العلوم الدينية، ولما تقلَّد زمام الأمور بعد وفاة والده، أخرج من خزانة الدولة مبلغ ألف دينار أرسله إلى الفرقة الإباضية، الموجودة في مدينة البصرة بالعراق، ليشتروا له به كتبا، ولما قبضوا المبلغ اشتروا به أوراقا للكتابة استعملوها لاستنساخ كتب نُقلت إلى تيهرت على متن أربعين جملا. وأكد المؤرخ الميلي مبارك بوجود مكتبة كبيرة في تيهرت تدعى **المعصومة** كانت تحتوي آلافا من المجلدات. وأوضح "بأن الأمة البربرية اقتدت بحكومتها-والناس على دين ملوكهم-في العناية بالعربية وعلومها وآدابها، ولم يصدهم عنها ثورتهم على الحكومة العربية"، وأضاف الميلي مبارك بأن البربرية عاشت مع العربية عيشة العامية اليوم مع الفصحى. وكانت الدراسة تجري في المساجد وفي منازل العلماء، وكان الطلبة والعلماء يتلقون رعاية ودعما ماديا من رجال الدولة ومن العامة. وساد جوُّ حرية الرأي والمسامحة في حلقات الدراسة والمناظرة بين أصحاب المذاهب والتيارات الفكرية والروحية المختلفة الذين عاشوا هناك[3].

وتَبَلْوَرَ البُعدُ السياسي للغة العربية في الدولة الرستمية التي كانت تسعى إلى بناء دولة يسود فيها الانسجام، في جعلها هذه اللغة المفهومة لدى جميع الأوساط، اللغةَ الرسمية للدولة، ولغة التبادل مع العالم الخارجي. أما الأبعاد الدينية والفكرية والثقافية فتَجَلَّى في إحياء أركان الدولة علوم القرآن والسنة والتراث الحضاري والفكري للاسلام. وبالنسبة للبعد الاقتصادي، فيمكن ملاحظة تعدُّد جوانبه في تمويل البعثة التي أرسلتها الدولة الرستمية إلى

مدينة البصرة لشراء الكتب، وفي نفقات سفر أعضاء البعثة التي شملت مأكولاتهم ومشروباتهم، ووسائل سفرهم ذهابا وإيابا، وفي الثمن الذي دفعوه لشراء الأوراق والأقلام والحبر والدفاتر، ونسخ الكتب، وكذلك في المؤسسات والمرافق التعليمية التي قاموا بتمويلها بسخاء.

ب-إشعاع اللغة العربية في الدولة الزيانية

أولى سلاطين الدولة الزيانية عناية فائقة للغة العربية، وبنوا مدارس ومؤسسات سلطانية مجهزة بكل المرافق اللازمة لإيواء الأساتذة والطلبة. ووفروا لهم أيضا وسائل المعيشة والدراسة. ولتأمين استمرارية تلك المؤسسات التعليمية وبقائها، خصصت لها الدولة أوقافا وجرايات كافية. "ويُعتبر السلطان أبو حمو موسى الأول مؤسس أول مدرسة في تاريخ دولة بني زيان، عُرفت باسم **مدرسة أولاد الإمام**، في سنة 710هـ/1310م، وقد بناها تكريما للعالمين أبي زيد عبد الرحمان وأخيه أبي موسى عيسى، ابني الإمام أبي عبد الله محمد، وعَيّن للتدريس فيها نخبة من العلماء المشهورين. وهي مدرسة استطاعت أن تواصل أنشطتها وتأدية رسالتها في نشر العلوم العربية والإسلامية حتى منتصف القرن التاسع الهجري، بفضل أوقافها الهامة التي كانت مصدر تمويل رئيسي ودائم لها. أما ثاني أهم مؤسسة تعليمية أقيمت في الدولة الزيانية، بعد مدرسة ابني الامام، فقد بناها السلطان أبو تاشفين بن أبي حمو موسى الأول الذي حكم إمارة تلمسان من عام 1318م إلى 1337م. وتُعرف تلك المؤسسة التعليمية بالمدرسة التاشفينية، وقد حرص السلطان على أن تكون المدرسة آية في الروعة والأبهة، وشيّدها في المركز الحيوي للدولة بمحاذات القصر السلطاني والمسجد الجامع، وجهزها بأحسن المرافق التي تحتاج إليها المدرسة، وكانت نتيجة لذلك "أهم مدرسة في المغرب الأوسط". ونُقل عن المقري قوله: "رأيت مكتوبا على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها أمير المسلمين أبو تاشفين الزياني، تعبر عن الدقة التي بُنيت بها المدرسة وجمال هندسة بنائها وشكلها البديع"، ويقصد بالمكتوب الأبيات التالية:

انظر بعينك بهجتي وسنائي وبديع إتقاني وحسن بنائي
وبديع شكلي واعتبر فيما ترى من نشأتي بل من تدفق مائي
جسم لطيف ذائب سيلانه صاف كذوب الفضة البيضاء
قد حف بي أزهار وشي نمقت فغدت كمثل الروض غب سماء

واستمرت هذه المدرسة التاشفينية الرائعة في ممارسة دورها في نشر العلوم العربية والإسلامية حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي، وما كان ذلك ممكنا لولا الأوقاف العظيمة التي رصدت لها[4]. وأشار الأستاذ حاجيات بأن المدرسة التاشفينية "كانت لا تزال قائمة عند احتلال الفرنسيين للقطر الجزائري، غير أنها هُدمت عند ما قام الفرنسيون بتنفيذ مشروع معماري

هدفُه توسيعُ الطرق، فبُنيت البلديةُ الحالية، وأُنشئت بجانبها ساحةٌ كبرى، مكان المدرسة التاشفينية، سنة (1875)، وقد وُزعت بعضُ زخارفها الجميلة على بعض المتاحف الجزائرية والفرنسية"[5]

وتجدر الإشارة إلى أن الأموال والممتلكات التي حبسها سلاطين الدولة الزيانية للمدارس والمؤسسات التعليمية المختلفة كانت تُنفق في دفع أجور المدرسين وجرايات الطلبة ومرتبات من يقومون بتشغيل مرافقها الحيوية، وفي إصلاح وترميم مباني المدرسة وشراء تجهيزاتها الضرورية. وفي العهد العثماني كانت المدارس منتشرة في مدن مثل الجزائر وتلمسان والمدية وقسنطينة الخ، وكانت مُمَوَّلة من موارد الأوقاف، أما التعليم في الأرياف فكانت أوقافُ وهدايا زوايا الطرق الصوفية مصدرَ تمويل الكثير من مدارسه، وكانت الأوضاع التعليمية في هذا العصر في حالة الركود[6].

2- وضع اللغة العربية إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر

كان وضع التعليم العربي الإسلامي جيدا بشكل عام في الفترة التي سبقت إحتلال فرنسا الجزائر، وأكد ذلك د. سعد الله مستشهدا بإحصاءات الأستاذ ***ايميري***، الذي قام بإجراء بحوث ودراسات عميقة في الحياة الجزائرية في القرن التاسع عشر، تَدُلّ على "أنه كان في قسنطينة وحدها، قبل الاحتلال، خمسة وثلاثون مسجدا لها مدارس للتربية والتعليم تتضمن جميع المراحل، كما كان هناك سبع مدارس ثانوية يحضرها ما بين ستمائة وتسعمائة طالب، ويُدرّس فيها أساتذة محترمون لهم أجور عالية يتقاضونها من أموال الأوقاف[7].

وكان التعليم العربي الإسلامي عشية الاحتلال الفرنسي يتألف من ثلاث مراحل:

- مرحلة ابتدائية، كان الطفل يحفظ خلالها القرآن الكريم كله أو أجزاء منه، ويتعلم فيها قواعد القراءة والكتابة، ويحفظ النصوص والمتون الممهدة للمرحلة الدراسية التالية،
- مرحلة التعليم الثانوي، كان الطالب يدرس فيها العلوم العربية والفقه والتوحيد ومبادئ التفسير ومصطلح الحديث والسيرة النبوية.
- مرحلة التعليم العالي، وكان التعليم يتمحور فيها حول العلوم الشرعية وأصول الدين والتاريخ الإسلامي، وعلوما أخرى كالحساب والفلك والجغرافية والطب الخ[8].

وكانت مدارس التعليم العربي الإسلامي تابعة عادة إما للمساجد أو للزوايا، ولكن هذا النوع من التعليم بدأ وضعُه يتدهور بسبب ظروف حروب مقاومة الاحتلال التي كان الجزائريون يخوضونها ضد الفرنسيين، وهجرةِ الأساتذة والطلبة من أماكن إقامتهم؛ وبسبب مصادرة ممتلكات الأوقاف التي كانت مصدر تمويل شامل للنظام التعليم العربي الإسلامي برمته[9]. وذكر الجنرال ***بيدو*** في مذكراته بوجود 90 مدرسة ابتدائية باللغة العربية في قسنطينة

كان عدد تلاميذها يتراوح بين 1300 إلى 1400 في سنة 1837، بيد أن هذا العدد انخفض سنة 1850 إلى 300 مدرسة فقط، يتعلم فيها 350 تلميذا. وبَيَّنت المذكرة نفسها أن عدد طلاب التعليم العالي العربي في قسنطينة كان يتراوح، سنة 1837، بين ستمائة وسبعمائة، ولكنه انخفض إلى ستين طالبا في عام 1850.[10]

أ-إجراءات للقضاء على مؤسسات تعليم اللغة العربية

بدأت أوضاع تعليم اللغة العربية تتدهور بسرعة في الجزائر نتيجة القرارات التي اتخذتها سلطات الاحتلال الفرنسي للقضاء على مؤسسات التعليم باللغة العربية وتهميش هذه اللغة. وبموجب تلك القرارات تمّ الاستيلاء على أملاك الأوقاف التي كانت مصدر تمويل مؤسسات التعليم باللغة العربية في الجزائر، وأنشأوا تعليما مزدوجا بالعربية والفرنسية تُدَرَّس غالبيةُ موادها بالفرنسية، وفرضوا رقابة صارمة على التعليم في الزوايا الريفية. واتخذت السلطة الاستعمارية إجراءات تهدف إلى وقف تعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية وترخيص تعليمها في المدارس العليا وحدها، لغرض تكوين الإداريين والمترجمين الذين تستخدمهم في تنفيذ سياسة محو هوية الجزائريين وتبديلها بالهوية الفرنسية. وأصدرت السلطة الاستعمارية في 18 أكتوبر عام 1892 مرسوما يفرض على كل من يريد أن يفتح مدرسة عربية أن يحصل على رخصة منها[11]. وبعد ما لاحظت أن الجزائريين قاطعوا مدارس التعليم الابتدائي الفرنسي، لاعتقادهم بأنها وسيلة ترمي إلى القضاء على حضارتهم العربية الاسلامية، أقامت الإدارة الاستعمارية نوعا جديدا من المدارس خصصته للمسلمين وسمّته "المدرسةَ الحضرية الفرنسية"، كما أقامت نوعا آخر خاصا باليهود الجزائريين سمته "المدرسة الإسرائيلية الفرنسية". وقد نجحت المدرسة الإسرائيلية في جذب أبناء اليهود بينما فشلت المدرسة الخاصة بالمسلمين الجزائريين في كسب ثقتهم؛ لأنهم اعتبروها وسيلة لقطع الصلة بينهم وبين ثقافتهم وحضارتهم، ولربطهم بثقافة الفرنسيين ومصالحهم[12].

ب-المدرسة العربية الفرنسية

أنشأت الإدارة الاستعمارية في مدينة الجزائر، ووهران، وقسنطينة، وعنابة، والبليدة، ومستغانم وغيرها، مدارس ابتدائية مزدوجة اللغة: عربية وفرنسية، وكانت المواد العربية تدرس في الصباح، والمواد الفرنسية في المساء، وبلغ عدد هذا النوع من المدارس عام 1870: 36 مدرسة. ولكن نظام التعليم في تلك المدارس لم يكن جيدا؛ لأن الذين عُينوا للتدريس فيه لم يتلقوا تكوينا تربويا، بالإضافة إلى كون مواد الدراسة فيه ضعيفة. ولما انتبهت الإدارة الاستعمارة إلى وجود تلك النقائص، قررت إنشاء مدارس عربية وفرنسية لتكوين المعلمين، مفتوحة للذكور والإناث. وكانت الفرنسية لغة الدراسة للمواد العلمية والثقافية، أما العربية فكانت مادة دراسية لعلومها فقط. وكان هذا النوع من التعليم مفتوحا فقط "لأبناء الأعيان والعائلات التي

خدمت فرنسا أو التي لها علاقة جيدة بها. أما العائلات التي حاربتها أو التي لا تنتمي إلى الطبقة العليا، فليس لها حق إدخال أطفالها في المدارس العربية الفرنسية"[13].

ت-نظام المدارس Les Medersas لتكوين موظفين مسلمين

وهذا النظام التعليمي أُخذت تسميتُه من التقاليد التعليمية الإسلامية التي "تُطلق اسم المدرسة على المكان المخصص لتدريس العلوم بالمستويات الثانوية والعالية، وكانت عبارة **المسيد** أو **الكتاب** أو **المكتب** مستعملة بصفة خاصة للتعليم الابتدائي(القرآني). أما التعليم العالي فكان مقره المساجد الكبرى والزوايا الشهيرة"[14].

وقد أصدرت الإدارةُ الاستعمارية بتاريخ 30 سبتمبر 1850 قرار إنشاء ثلاث مدارس عليا في مدية وقسنطينة وتلمسان لتكوين الموظفين المسلمين من قضاة ورجال دين. ونُقلت مدرسة مدية إلى بليدة سنة 1855، ثم نُقلت بعد ذلك إلى العاصمة الجزائرية، وأصبحت مدرسة العاصمة أكبر مدرسة في الجزائر كلها. وتوجد المراكز الرئيسية للمدرسة، منذ 1855، في مدينة الجزائر وقسنطينة وتلمسان. وكان في كل مدرسة ثلاثة أساتذة مسلمين، يتولى أحدهم إدارة المدرسة التي كانت اللغة العربية لغة التعليم فيها. وكانت موادها تتضمن النحو والأدب العربي، وكذلك الشريعة وأصول الدين، ومدة الدراسة ثلاث سنوات. ولم يكن عُمْرُ المترشح للدراسة فيها محددا. وقد جعلت الإدارة الاستعمارية الفرنسية التعليم في تلك المدارس مجانا، بل خصص 100 فرنكا منحة دراسية للعشرة الأوائل من الطلبة، ثم أعطت الإدارة لجميع الطلبة مصروفا يوميا، لشراء الوجبات، يساوي 0،80. وخصّصت المدرسة لمديرها مرتبا شهريا قدره 175 فرنكا. أما بقية الأساتذة فكان راتبهم الشهري 125 فرنكا. ووُضِعت المدرسة تحت إشراف السلطة العسكرية حتى 16 يناير 1876، تاريخ صدور قرار يقضي بنقل الإشراف العسكري للمدرسة إلى هيئة أكاديمية قامت بإدخال أوَّل إصلاح تربوي فيها، حدّد عمرَ طالب القبول في المدرسة ب 17 سنة على الأقل، وألا يتجاوز 25 على الأكثر. ووضع الإصلاحُ المذكور كذلك شروطا للانتقال من سنة إلى أخرى، يُطْرد من المدرسة كلُّ طالب لم يلتزم بها. ويحصل الطالب الذي نجح في الامتحان بعد نهاية ثلاث سنوات الدراسة بالمدرسة، على "شهادة الدراسات الإسلامية" (Brevet d'études musulmanes)

وفي سنة 1883 صدر قرار بتعيين أستاذ في المدرسة لتعليم الفرنسية للطلبة لكي يتمكنوا بعد تخرجهم من كتابة تقارير بهذه اللغة، كما أضيفت الرياضيات والتاريخ والجغرافيا إلى مواد الدراسة. وفي 23 يوليو 1895، أصدر الوزير الفرنسي للمعارف العمومية إميل كومب Emile COMBES قرارا يقضي بتقوية مواد الدراسة العربية والفرنسية ورفع مستوياتها بشكل جيد، وبتغيير نظام المدرسة وتحويله إلى مدرسة للدراسات الإسلامية العليا، مع رفع سنوات الدراسة

من ثلاث إلى أربع سنوات، وجَعلِ عُمرِ طالب القبول 15 سنة بدلا من 17، وألا يتجاوز 20 سنة على الأكثر[15].

هذا وقد شهد نظام المدارس في الجزائر إصلاحات وتغييرات كثيرة أبرزها:

- صدرو مرسوم في 27 نوفمبر 1944 بإلغاء نظام المدارس وَوَضْعِ نظام المدارس الثانوية (les lycées français) بدلا منها، وتَرتَّبَ على ذلك تمديدُ مدّة الدراسة إلى ست سنوات، وفقدانُ الأساتذة خصوصيتهم الدينية، مع الالتزام ببعض قواعد سلوكية علمانية. وبدأ الطلبة، نتيجة لذلك، يبتعدون تدريجيا من نمط تفكيرهم الشرعي الديني ويتبنون بدلا منه أساليب التفكير الخاصة بزملائهم الأوروبيين. وكانت مدرسة العاصمة الجزائرية هي الوحيدة التي احتفظت بتسمية معهد الدراسات الإسلامية العليا، وأُنشأت فيها ثلاثةُ أقسام يختار منها الطالب ما يراه مناسبا له. وهذه الأقسام هي: قسم تقليدي لتكوين القضاة؛ وقسمٌ لتكوين المدرسين للتدريس في المساجد أو لتقلّد وظائف دينية مختلفة؛ وقسمٌ لتكوين الإداريين من مترجمين أو موظفين في الإدارة الفرنسية. ويحصل خريج المعهد على "دبلوم دراسات المدارس" (Diplôme d'études des médersas)[16].

- وفي سنة 1951، جرى تحويل نظام المدارس الثانوية إلى "مدارس ثانوية للتعليم الفرنسي الإسلامي"(Lycée d'Enseignement Franco-Musulman) ولكنها احتفظت بنظام ست سنوات وبجزء هام من مقرراتها باللغة العربية، وتفسح للطالب مجال الترشح لامتحانات شهادة الباكالوريا وتفتح له باب الدراسات العليا. وقد سبّب هذا الإصلاح تزايدَ عدد المقبولين في النظام الجديد، كما تطلَّبَ بناء مبان جديدة وواسعة لهذه المدارس[17].

- وفي سنة 1954، أُنشأت مدرسة ثانوية عربية إسلامية للبنات، وتدل ذلك على انفتاحٍ جديد في العقليات وتَطلّعٍ نحو مستقبل أحسن، ولكن الذي جعل العائلات تثق في النظام التعليمي الفرنسي الجديد هو جمعه بين المواد الإسلامية التقليدية وبين المواد العلمية والثقافية الحديثة. ثم واصل النظام التعليمي الإسلامي الفرنسي تطوَّره إلى أن تمَّ إلغاؤه وضمُّه، عام 1960، إلى سلسلة المدارس الثانوية غير الدينية التابعة للدولة[18].

وقد نجحت السياسية التعليمية الإستعمارية الفرنسية في إقامة نظام تعليمي بالجزائر، يخدم بصفة عامة مصالحها السياسية والثقافية والإقتصادية، وحققت بواسطته مكاسب كبيرة منها تعيينُ خريجيه في المؤسسات الدينية التي كانت تحت إدارة علماء الجزائر التقليديين الذين تمّ تهميشُ دورهم أو إلغاؤه تماما، ومنها أيضا ضمانُ ولاء هؤلاء الموظفين لسياستها والعمل من أجل تحقيق أهدافها..

ث-حلقات تعليم اللغة العربية للأجانب

أنشأت الإدارة الاستعمارية الفرنسية حلقات دراسية لتعليم اللغة العربية للمدنيين والعسكريين الفرنسيين، سُميت في بدايتها بالكراسي أو الحلقات. وقد بدأت هذه الدروس في شهر ديسمبر عام 1932، وكانت تتضمن العربية الفصحى والعامية، وقد تمركزت حلقاتها في العاصمة وقسنطينة، ووهران، وساهمت في تعليم عدد كبير من المستشرقين اللغة العربية الفصحى والعامية، ولكنها دُمجت في النهاية في مدرسة الآداب والمدارس الشرعية. وكان *هوداس* أول رئيس لكرسي اللغة العربية في مدرسة الآداب، أما مساعده فكان عالما جزائريا، مرموقا يتقن العربية والبربرية، اسمه بلقاسم بن سديرة. وبعد سفر *هوداس* إلى فرنسا خلفه زميله *رنه باصه* في تدريس الأدب العربي. وإلى جانب عمله مدرسا للآداب ومؤلفا في هذا الحقل، كان *باصه* دائم التجول بحثا عن المكتبات بصفة عامة والمخطوطات بشكل خاص، واستطاع بفضل مساعدة أساتذة جزائريين مثل بلقاسم بن سديرة والهاشمي بن الونيسن ومحمد بن أبي شنب وغيرهم، وبفضل معرفته للغة العربية والبربرية والهوسة وغيرها، أن يكتشف الكثير من كنوز التراث الجزائري العربي والبربري، وأن ينشر حوله بحوثا وفهارس كثيرة وقيمة، وأن يقيم مؤتمرات علمية دولية ناجحة حول التراث المذكور[19].

ولعبت مدرسة الآداب دورا هاما في اكتشاف نفائس التراث العربي الإسلامي في الجزائر وفي المغرب العربي وإفريقيا جنوب الصحراء، وكان أساتذتها وموظفوها يقومون برحلات دورية في المنطقة لجمع المخطوطات والوثائق والمعلومات، ثم يحققونها وينشرونها. وقد ترجم أساتذة المدرسة كتبا تراثية كثيرة، وألفوا باللغة العربية والفرنسية كتبا ومعاجم، وأصدروا مجلات علمية وأنشأوا مكتبات خاصة وعامة تضم كتبا تراثية نادرة. وأكد د. سعد الله بأن لمدرسة الآداب بالجزائر تأثير قوي في جميع الدراسات الاستشراقية الفرنسية، وخاصة في مدرسة اللغات الشرقية بباريس وفي السربون، وفي الكوليج ده فرانس وفي مجلة العالم الإسلامي، وفي معهد الدراسات العليا في المغرب، وفي معهد القرطاج، وفي المعهد الفرنسي بدمشق، وكذلك في المعهد الفرنسي بمصر[20].

ج-حركة الترجمة بين الفرنسية والعربية

كانت الإدراة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر تُولي للترجمة الشفوية والكتابية عناية خاصة؛ وقام المترجمون الشفهيون، المدعوون آنذاك بالاحتياطيين، بمخاطبة الأهالي لتهدئتهم ونقل أوامر الفرنسيين وتعليماتهم إليهم، أثناء الحملات العسكرية. وقاموا كذلك بالترجمة في المحاكم الفرنسية التي انتشرت على حساب المحاكم الإسلامية، وأصبح الجزائريون يتقاضون أمامها. وكانت الترجمة مجالا يتعاون فيه الجزائريون والفرنسيون، وأظهر الجزائريون براعة وحنكة في الترجمة، ولم ينالوا مع ذلك التقدير الذي يستحقونها من قبل الفرنسيين الذين كانوا يعتبرونهم متعاونين من الدرجة الثانية[21].

وفي مجال الترجمة الكتابية أرّخ د. سعد الله بدايتها "بالبيان الذي وزعه الفرنسيون على الجزائريين عشية الحملة" وتمّ إعدادُه بمساعدة بعض المستشرقين، منهم *دي ساسي* وقس سوري اسمه شارل زكار. وكان البيان، في اعتقاده، أول نص عربي مطبوع يوزع على الجزائريين؛ لأنه لم تصدر صحافة في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي. وأن الجريدة الرسمية الأولى التي صدرت في الجزائر ظهرت بالفرنسية في يناير 1832، "ثم بدأت تنشر صفحة بالعربية المكسرة جدا" حسب تعبير د. سعد الله. وتبع ذلك نشرُ إعلانات وأوامر رسمية صادرة عن إدارة الاحتلال بالعربية. "وكانت قرارات **الحكام العام** (les Gouverneurs généraux)تصدر كلها بالفرنسية ثم يترجم منها ما يُهمّ المسلمين مباشرة، كمُصادرة الأوقاف، والأمر بطرد الأعيان ونحو ذلك". وكان قرار عزل ونفي المفتي مصطفى الكبابطي مترجما إلى العربية ومعلقا على جدار الجامع الكبير بالعاصمة[22].

واعتبر د.سعد الله جريدة المبشر التي بدأت تصدر منذ سنة 1847، الصحيفة الوحيدة التي كانت تقدم إلى الجزائريين معلومات قيمة باللغة العربية. وكانت تصدر باللغتين الفرنسية والعربية، ولكن النسخة العربية كانت عادة مترجمة عن النسخة الفرنسية، وكانت تنشر أحيانا مقالات مكتوبة مباشرة باللغة العربية، كمختارات من الأدب العربي، أو نصوص مترجمة من كتب فرنسية أُلِّفت حديثا حول موضوعات تتعلق بالرحلات أو الحضارة الأوروبية أو الأديان، ولم تكن منقولة من النسخة الفرنسية للمبشر. وأشار د. سعد الله إلى أن المبشر كانت تنشر أيضا بحوثا عن النهضة العلمية ببغداد في عصر المأمون، أو بالأندلس في عهد عبد الرحمان الناصر، وتُوهم الجزائريين بأن العقل العربي قد تخلَّف وتخلفت معه اللغةُ العربية ولم تعد تصلح للعلوم، وأن اللغة الفرنسية هي وسيلتهم الوحيدة حاليا لتعلُّم العلوم. وكانت صحيفة المبشر تنقل نصوصا من كُتاب النهضة المعجبين بالتقدم الفرنسي والنظام الدستوري والعلوم في أوروبا، أمثال رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي. و"كانت صحيفة المبشر تخاطب المتعلمين والأعيان، ولا تخاطب العامة لأنها غير قارئة"، وكانت في بداية صدورها توزع مجانا للقضاة والموظفين ولكن الإدارة الفرنسية فرضت عليهم، لاحقا، الاشتراك فيها[23].

ح-اللغة العربية في الجمعيات والمراكز الثقافية

يعود تاريخ بداية إنشاء جمعيات، بالمعنى الفني للكلمة، إلى العقدين الأولين من القرن العشرين، وقد حدّد د. سعد الله هذه الفترة، اعتمادا على ما ذكره سعد الدين بن أبي شنب في بحث له متعلق بالموضوع، من وجود جمعية للأدب والتمثيل العربي اسمها جمعية المهذبة كان يرأسها الشريف الطاهر، ومثلت هذه الجمعية ثلاث مسرحيات بين 1921 و1924. ونقل عن سعد الدين أيضا خبر وجود جمعية أخرى، غير معترفة رسميا، قامت بتمثيل رواية (في سبيل الوطن) في شهر ديسمبر 1922، ولاقت نجاحا باهرا، ثم منعتها السلطات من تمثيلها. وتأسست

عام 1932 جمعية المزهر البوني للتمثيل كانت تستعمل الموسيقى والتمثيل لغرض محاربة الآفات الاجتماعية والنهوض بالمجتمع، مع تشجيع استعمال اللغة العربية الفصحى والرقي بها. وتأسست في قسنطينة جمعيات كثيرة منها جمعية أحباب الفن لإحياء التراث العربي، من الآداب والموسيقى والفنون التي أنشأت في مايو 1933، وكانت لها علاقات بالحركة الإصلاحية التابعة لعبد الحميد بن باديس في قسنطينة، وكانت تحيي سهرات فنية لجمع التبرعات والأموال لفائدة أبناء مدرسة التربية والتعليم التابعة لابن باديس. وفي إبريل 1937 أُنشئت جمعية اسمها الشباب الفني، كان كاتبها العام الشيخ عبد الحفيظ الجنان من تلاميذ ابن باديس، وقد وظفت هذه الجمعية أنشطتها الفنية لخدمة النهضة العربية الإسلامية في الجزائر، وأقامت حفلات تمثيلية في مدن إقليم قسنطينة لقيت نجاحا شعبيا كبيرا، وقد ألقى ابن باديس في حفلة تمثيلية كبيرة للجمعية نشيده الوطني الذي يبشر بالجزائر الحرة: (اشهدي يا سماء)[24].

خ-وضع اللغة العربية في المكتبات التجارية والمطابع

يُعتبر الاخوة رودوسي مراد وقدورة مِنْ أبرز من زاولوا تجارة الكتب في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي، وكانا من سكان جزيرة *رودس* ثم استقرا في الجزائر، وقد حصلا على تصريح من الفرنسيين باستيراد الكتب وبيعها، ثم أنشآ بعد ذلك مطبعة ومكتبة، وتخصّصا تدريجيا في بيع المصاحف والكتب الدينية. واعتبر د. سعد الله مطبعتهما التي، سُميت فيما بعد "المطبعة الثعالبية"، أولَ مطبعة عربية في الجزائر، فُتِحت حوالي 1896. وكانت مكتبتهما بمثابة ناد للعلماء والأدباء، ولقيت الكتب العربية التي طبعتها رواجا في دول المغرب العربي وفي المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا. وكانت مساهمة الاخوة رودوسي قدور في نشر الكتب المطبوعة باللغة العربية واسعة النطاق وفي غاية الأهمية[25].

هذا وقد أنشأ جزائريون، بعد الحرب العالمية الأولى، مطابع أخرى في مدينة الجزائر وقسنطينة ومستغانم ووهران وبسكرة، وكان هدفهم الأساسي في ذلك طبعُ الجرائد التي قرروا إصدارها، واعتقدوا بأن الحصول على مطابع خاصة بهم هو الشيء الوحيد الذي يضمن لهم الاستقلال عن المطابع الفرنسية. ومن أبرز تلك المطابع: المطبعة الجزائرية الإسلامية التي أنشأها في قسنطينة الشيخ عبد الحميد بن باديس، وعَهِدَ بها، حسب تعبير د. سعد الله، "إلى الشيخ أحمد بوشمال، أحد أنصاره وأتباعه المخلصين وأحد أعيان قسنطينة الذين ظلوا على ولائهم لجمعية العلماء والفكر الإصلاحي بعد وفاة ابن باديس". وتولّت هذه المطبعة طبعَ صحيفة المنتقد والشهاب التابعتين للشيخ بن باديس، كما طبعت جريدة البصائر لاحقا، وطبعت كذلك صدى الصحراء التي كانت تصدر في بسكرة، وطبعت بالعربية كتبا وبطاقات ونحو ذلك بطريقة تجارية. ونذكر من المطابع الأخرى المهمة مطبعة النجاح التي أُسست في قسنطينة عام 1919؛

والمطبعة العربية التي أسست بالجزائر عام 1926؛ ومطبعة البلاغ التي أسست في مستغانم؛ والمطبعة العلمية في بسكرة؛ ومطبعة المغرب العربي التي أسست في وهران. وكانت هذه المطابع تطبع عادة صحفَ أصحابها، بالإضافة إلى كتب ومنشورات أخرى ذات طابع تجاري أو خاص[26].

د-أوضاع اللغة العربية في المكتبات العمومية

فَتحت المكتبة العمومية الأولى التي أنشأتها فرنسا في الجزائر أبوابَها للقراء سنة 1838 أو 1840 حسب روايات أخرى. وكانت تضم كتبا مطبوعة ومخطوطات. أما قسم المخطوطات فكان فيه 647 مخطوطا، منها "حوالي 2000 رسالة أو تقييد في مختلف فروع المعرفة الإنسانية عند العرب". وكانت المخطوطات مصنفة كالآتي:

حولي 450 مخطوط من القرآن والسنة، وحوالي 200 مخطوط من الفقه، وحوالي 600 مخطوط حول اللغة العربية وآدابها، وحوالي 300 مخطوط من فئة الدواوين الشعرية، وحوالي 50 مخطوط في التاريخ والتراجم[27].كانت المكتبة تتزود باستمرار بالكتب والمخطوطات، وقد بلغ عدد المخطوطات في القسم العربي والفارسي 3000 مخطوط، يرجع بعضها إلى القرون 12، 13، 14، الميلادية. أما قسم الكتب العربية المطبوعة فيضم 27000 مجلدا. وأنشأ الفرنسيون أيضا في الجزائر المكتبات العسكرية والبلدية والمدرسية؛ ولم تكن المكتبات العسكرية معروفة قبل ذلك في الجزائر، وكانت تضم "مؤلفات عن تاريخ الجزائر وطرق معرفة اللغة العربية وبعض المعاجم الفرنسية العربية، ومعارف أخرى تتعلق بالشؤون الجزائرية المختلفة"[28].

وأنشأت الفرنسيون مكتبات بلدية ولم تكن معروفة لدى الجزائريين قبل تلك الفترة. أما المكتبات المدرسية فلم تكن شيئا جديدا في الجزائر، فكانت المدارس الملحقة بالمساجد والزوايا وغيرها مزودة بالمكتبات. وقد استولى الفرنسيون على كل تلك المكتبات إبان احتلالهم للجزائر. وبالنسبة للمكتبات المدرسية التي أقاموها فنذكر منها ما كانت للمدارس العربية الفرنسية، وقد جهزت في كل مدرسة مكتبة للأساتذة وأخرى للطلبة، وكانت فيها، بالإضافة إلى كتب أخرى، مخطوطات قُدمت إليها هدية أو اشترتها، أو نهبها الفرنسيون أثناء العمليات العسكرية ووضعوها فيها. وهكذا كانت مكتبة الثعالبية في العاصمة، والكتانية في قسنطينة، ومكتبة مدرسة تلمسان. وأنشأ الفرنسيون كذلك مكتبات في مدارس المساجد بعد التنظيم الجديد الذي ادخلوه في هذا النوع من التعليم"[29].

وكانت الجزائر زاخرة أيضا بالمكتبات الخاصة، منها على سبيل المثال مكتبة **الحاج علي بن القِيم** الذي كوّن مكتبته من الكتب التي نسخها بيده ومن كتب أخرى قُدّمت إليه هدية، وقد توفي حوالي 1908. وزار د. سعد الله بقايا مكتبته التي تدل على أنها كانت هامة، وقد وُضِع ما تبقى منها في صناديق وحقائب[30].

3-أوضاع اللغة العربية في الجزائر بعد حصولها على استقلالها

وقد دشن أحمد بن بللا، أول رئس للجمهورية الجزائرية المستقلة سنة 1962، سياسة تعريب التعليم ومؤسسات الدولة، وواصل خلفه الرئيس هواري بومدين السياسة نفسها. وحافظت الحكومات الجزائرية المتعاقبة على هذه السياسة، مع إدخال تعديلات فيها حسب الظروف والأوضاع. وقد ورد في المادة 5، من دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية لسنة 1963: "أن اللغة العربية هي اللغة القومية والرسمية للدولة. وفي المادة 76 للدستور نفسه، كُتب ما يلي: " يجب تعميم اللغة العربية في أقرب وقت ممكن في كامل أراضي الجمهورية، بيد أنه، خلافا لأحكام هذا القانون، سوف يجوز استعمال اللغة الفرنسية مؤقتا إلى جانب اللغة العربية". وفي المادة 3 من دستور 1976 تأكيدٌ بأن "اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية"، كما أُكِّد ذلك في المادة 3 أيضا من دستور 1996 الذي كُتب في مادته 177 ما يلي: لا يمكن لأي تعديل دستوري أن يمس: "العربية باعتبارها اللغة الوطنية والرسمية"، وفي التعديل الدستوري لسنة 2008، وردت في المادة 178 هذه العبارة التي تمنع أي تعديل تمس العربية باعتبارها اللغة الوطنية والرسمية للدولة[31].

أ-أهداف سياسة التعريب ومبرراتها

وقد بيّنت فقرات واردة في وثائق نشرته وزارة الإعلام الجزائرية عام 1976، بأن الاستقلال السياسي كان من أهداف مشروع تحقيق ثورة ديمقراطية وشعبية تبنته اللجنة الوطنية الثورية الجزائرية في يونيو 1962 بطرابلس. وبناء على ميثاق طرابلس، يجب أن يتحقق مع الاستقلال السياسي استقلالٌ اقتصادي وثقافي، له بعد وطني وثوري. ولا يمكن انجاز ذلك إلا عن طريق **جعل اللغة العربية، باعتبارها لغة حضارية، لغةَ تعبير لشرف الجزائر وفعاليتها وقيمها الثقافية**[32]. وقد أكد هذا المبدأ الرئيس بن بللا، رئيس الجمهورية الجزائرية والسكرتير العام لجبهة التحرير الوطني، في خطبه ومقابلاته، وكان يتحدث دائما عن ماضي الجزائر العربي الإسلامي، وعن ضرورة إعادة الاعتبار لثقافة الجزائر الوطنية بواسطة تعريب التعليم، وكان يدرك تماما أن التعريب مهمة شاقة وصعبة يتطلب إنجازها وقتا طويلا وإنفاقا سخيا من موارد الدولة[33].

وفي العام الدراسي 1962-1963 لم يذهب إلى المدرسة من بين مليونين وخمسمائة ألف طفل جزائري في سن الدراسة، إلا ستمائة ألف فقط، ويدل ذلك على خطورة الموقف. وقد أشار الرئيس بن بللا إلى هذا الأمر في خطاب ألقاه أمام الجمعية الوطنية التأسيسية، وحدّد فيه الخطوط العريضة لسياسة التعريب التي سينفذها، شاكرا المدرسين الفرنسيين الذين قبلوا البقاء في الجزائر لمواصلة المساهمة في تعليم أطفالها. وشَكَر كذلك الدول العربية التي أرسل إلى الجزائر معلمين ومدرسيين، وخاصة جمهورية مصر العربية التي أرسلت ألفين

مدرسا، وسوريا التي أرسلت ألفا ومائتين مدرسين. وبَيّن بأن حكومته ستحارب الأمية المتفشية في البلاد، وأن تعريب النظام التعليمي، الذي يلاقي معارضة من قبل جهات داخلية وخارجية، سيجرى بشكل تدريجي، وقدَّم تعريفا شاملا لمفهوم التعريب والعربية[34].

وفي سنة 1964 نجحت الحكومة الجزائرية في تعريب السنة الأولى للمرحلة الابتدائية، كما عّينت 10961 مدرسا للغة العربية، ووجهت دعوة إلى الدول العربية للمساهمة في التعريب، وقامت باستيراد كمية كبيرة من الكتب المدرسية المكتوبة بالعربية من البلاد العربية أيضا. وعلى مستوى التعليم العالي، أنشأت وزارة التعليم في الجامعة معهدا للغة العربية لتكوين كوادر البلاد المتخصصين في علوم هذه اللغة، كما أنشأت معهدا عاليا للترجمة. وفي العام الدراسي 1965-1966 وَضعت الدولة وسائل تربوية وتعليمة كبيرة تحت تصرف المدرسين، لدعم عملية التعريب على المستوى الابتدائي والإعدادي والثانوي وأنشأت على المستوى التعليم العالي قسما باللغة العربية في مدرسة الصحافة والاعلام، كما فتحت سبعة معاهد لتكوين المدرسين باللغة العربية. وفي سنة 1967 استمرت عملية التعريب على المستوى الابتدائي والثانوي، وأنشأت الدولة ثلاث مدارس ثانوية عربية احداها للبنات، كانت اللغة الفرنسية فيها لغة أجنبية، كما فتحت في الجامعة الأقسام العربية الأولى في الحقوق مخصصة لحملة شهادة بكالوريا العربية. وفي سنة 1970 صدر قرار تعريب الوظيفة العامة، وألزم على كل موظف يرغب الحصول على ترقية، أو على كل مترشح للتوظيف، ابتداء من عام 1971، أن يجتاز امتحانا شفويا وتحريريا باللغة الوطنية (العربية). وشمل التعريب وسائل الاعلام ومعظم مرافق الحياة العامة[35].

وواصلت الدولة الجزائرية جهودها الرامية إلى تعميم التعريب في جميع مستويات مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي، وسعت إلى تكوين المدرسين باللغة العربية في مراكز التكوين المكثف التي أُنشأت في الجامعات، واستعانت أيضا بمعلمين من العالم العربي. وتمّ تعريب أقسام من التعليم العالي في الفلسفة والحقوق والتاريخ في الفترة الممتدة من 1965 إلى 1969. وفي السنة 1989 وصل إلى سلك التعليم للمرة الأولى أفواج من الحاصلين على شهادة البكالوريا العلمية العربية مائة في المائة، وتطلبتْ ضرورةُ تسجيلهم في أقسام علمية وعلوم اجتماعية جامعية مضاعفةً سرعة تعريب تلك الأقسام. أما العلوم الاجتماعية والإنسانية فقد تم تعريبها نهائيا في 1996-1997. واستمرت عمليةُ التعريب تدريجيا في أقسام تكنولوجيا والطب، وهي علوم يحتاج تكوينُ أساتذة يقدرون على تدريسها بالعربية إلى توفير ميزانية ضخمة، بالإضافة إلى أن دراسة معظم موادها باللغات الأجنبية تُسهّل للطالب الاستفادة من مصادرها ومراجعها المكتوبة غالبا بتلك اللغات.[36]

وعموما حَقّقت سياسة التعريب في الجزائر نتائج طيبة، على الرغم من التحديات المادية والمعنوية الكثيرة التي واجهتها، ومن أبرز الأدلة على ذلك وجودُ جامعات ومراكز جامعية في جميع ولايات الدولة الجزائرية تحتل اللغة العربية مركز الصدارة فيها، وفي الجزائر أيضا ما يزيد على 1000 مختبر للبحوث، و30 مركزا للبحوث، تنشر معظم أبحاثها باللغة العربية[37]. وأصبحت الجزائر، بفضل هذه الانجازات المتميزة، مركز إشعاع للفكر العربي الإسلامي، ومنطقة جذب لعلماء ومفكري وطلاب العالم العربي الإسلامي.

الخاتمة

قمنا بتقصّي حقائق أبعاد اللغة العربية وكذلك أهم مراحل تطورها التارخي في الجزائر، ووجدنا أن محاورها تدور حول العلاقة القوية الموجودة بين هذه اللغة وبين الإسلام وحول حاجة الجزائريين الماسة إليها لمعرفة دينهم ولفهم حضارة هذا الدين وتراثه، وإلى التواصل مع إخوتهم في العالم العربي والإسلامي. وتندرج في هذا البعد الديني الرئيسي أبعادٌ فرعية ذات طابع سياسي، فكري، إقتصادي وحضاري، تبلورت في العناية الفائقة التي أولاها الدولة الرستمية في المغرب الأوسط للغة العربية إلى درجة جَعْلِها لغةً رسمية للدولة، وإنفاق أموال طائلة في بناء المدارس والمكتبات ورعاية القائمين بها، كما اتخذت أيضا جميع الترتيبات اللازمة لنشر اللغة العربية وعلومها. وأصبحت هذه اللغة، بفضل تلك الجهود، القاسم المشترك الذي جمع ووحّد أبناء الدولة الرسمية ذوي الانتماءات والتوجّهات المتعددة.

وعلى منوال الدولة الرستمية نسجت الدولةُ الزيانية التي رصدت أموالا كثيرة لبناء مدارس ورعاية العلماء وطلاب العلم، من أبرزها مدرسة أولاد الإمام والمدرسة التاشفينية. وقد سبّب الدعمُ الذي قدمته الدولة الزيانية للعلوم العربية الإسلامية نهضة علمية وفكرية واقتصادية قوية في المغرب الأوسط. وتبحّر في تلك العلوم وغيرها أجيال من العلماء التلمسانيين الذين كرسوا حياتهم للتدريس والتأليف والتوعية، ولحماية التراث العربي الإسلامي والمحافظة عليه طيلة قرون.

وفي بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، كان التراث العربي الإسلامي في وضع طيب، وكان التعليم العربي الإسلامي بمراحله المختلفة مزدهرا نَوْعا ما، ولكن الإدارة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر اعتبرته عقبة كأداء تمنعها من السيطرة على مقاليد الأمور في البلاد، وسعت للقضاء عليه، وصادرت أموال الأوقاف وجميع الممتلكات التي كانت مصدر تمويل للأنشطة المتعلقة به، وأقامت مدارس بدلا من المدراس العربية التي دمرت بعضها. وعلى الرغم من المقاومة الشرسة التي واجه بها الجزائريون تلك الإجراءات فقد تمكنت السلطة الاستعمارية من إقامة سلسلة

من المدارس الفرنسية العربية لتكوين الجزائريين وإعدادهم لقبول قيمها وسياساتها. وعلى الرغم من الجهود الجبارة التي بذلها الجزائريون لحماية اللغة العربية، فإن الفرنسيين نجحوا في تضييق الخناق عليها، وتحديد نطاق انتشارها إلى أن تفيشت الأمية في القطر الجزائري وهيمنت فيه اللغة الفرنسية على حساب العربية. وكافح الشعب الجزائري كفاحا مريرا حتى نال استقلاله، وعقد العزم على أن يعيد للغة العربية إشعاعها الذي أخمده الفرنسيون.

وفَنَّدَت الدولةُ الجزائرية الفتية الدعاية الاستعمارية التي زعمت بضعف العقل العربي وبضعف اللغة العربية وعجزها عن نقل العلوم والحضارة كما كانت في العصر العباسي، واتخذت قرارات ثورية جعلت بموجبها لغةَ الضاد اللغة الوطنية والرسمية للدولة، وتعرضت لضغوط خارجية وداخلية شديدة، ولكنها صمدت وعملت تدريجيا على تعميم تدريس اللغة العربية في مراحل الدراسة المختلفة، وفرضتها في الوظائف العمومية وفي مرافق الحياة العامة، وكان تنفيذُ تلك السياسة أمرا في غاية الصعوبة، بيد أن الدولة الجزائرية تحلّت بالصبر وبإرادة سياسية قوية، واستطاعت في سنوات وجيزة نسبيا تحقيقَ إنجازات هامة في مجال محو الأمية وتعريب التعليم وجعله ديمقراطية في متناول جميع الجزائريين، وأعادت لهذه اللغة مجدها القديم في الجزائر.

المصادر والمراجع

- ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون (المقدمة)، مؤسسات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، بدون تاريخ.

-ابن قريبة وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

-الحريري محمد عيسى، الدولة الرسمية بالمغرب الإسلامي، ط3، دار القلم، الكويت، 1987.

- الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، ج1 و2 و3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، بدون تاريخ.

- -المقري أحمد بن التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ت إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، ط1، بدون تاريخ.

- حاجيات عبد الحميد، أبو حَمُّو موسي الزَّيَّاني، حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية في الجزائر 1900-1930، ج1و 2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992،

-سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، و5، و6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

-AGERON CH. Robert, Histoire de l'Algérie contemporaine, PUF, Paris, 1970.

-Christiane SOURIAU, La politique algérienne de l'arabisation, Annuaire de l'Afrique du Nord, Paris, 1977.

-Géraud GENESTE, L'Arabisation des Sciences Sociales et Humaines en Algérie, Thèse de Doctorat de troisième cycle en Sciences de l'Education, FLSH, Université de Lyon II, Lyon, 1983.

-JANIER Charles، **Les Médersas algériennes de 1850 à 1960** , Monographie écrite en juin 2010 par Charles JANIER, CDHA, Encart de la revue *Mémoire Vive* N°46, pp. 1-16. Voir : http://www.cdha.fr/les-medersas-algeriennes-de-1850-1960..

-JULIEN Charles-André, Histoire de l'Afrique du Nord, des origines à 1930, Payot, Paris, 1994.

-Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherches Scientifique, L'Enseignement Supérieur et la Recherche Scientifique en Algérie-50 Années au Service du développement, Alger, 1962-2012.

موقع الدساتير الجزائرية:

www.el-mouradia.dz/arabe/symbole/textes/constitution.htm

[1]- ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون (المقدمة)، مؤسسات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، بدون تاريخ، ص 545.

[2]- الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ص 63-86، بدون تاريخ، انظر الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ط3، دار القلم، الكويت، 1987، ص 102-108.

JULIEN Charles-André, Histoire de l'Afrique du Nord, des origines à 1930, Payot, Paris, 1994, pp. 367-369.

[3] المرجعان السابقان.

[4]- الميلي مبارك بن محمد، المصدر السابق، 485-486. ابن قريبة وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص ص 144-145. انظر المقري أحمد بن التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ت إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، ط1، ج6، ص47، بدون تاريخ.

[5]- حاجيات عبد الحميد، أبو حَمُّو موسي الزَّيَّاني، حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، 61-62.

[6]- الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر،1964، ج3، ص 317-318

[7]- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية في الجزائر 1900-1930، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ط4، ص 61.

[8]- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج3، ص 23-24

[9]- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، المصدر السابق، ص 32-33.

[10]- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية في الجزائر 1900-1930، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج2، ط4، ص 61.

[11]- سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص 62.

[12]- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص330-332.

[13]- سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 336-337.

AGERON CH. Robert, Histoire de l'Algérie contemporaine, PUF, Paris, 1970, p. 36.

[14]- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص367.

[15]-**JANIER Charles**، **Les Médersas algériennes de 1850 à 1960**, **Monographie écrite en juin 2010 par Charles JANIER**، fils de feu Emile JANIER qui fut le dernier directeur de la Médersa de Tlemcen et le premier proviseur du Lycée d'enseignement franco-musulman de Tlemcen. Emile JANIER est mort et enterré à Tlemcen en janvier 1958. Centre de documentation historique sur l'Algérie, CDHA, Encart de la revue *Mémoire Vive* N°46, pp. 1-16. Voir : http://www.cdha.fr/les-medersas-algeriennes-de-1850-1960..

[16]-المرجع السابق، ص 16-18.

[17] المرجع السابق.

[18]-المرجع السابق، ص 18-34. راجع تفاصيل هامة حول الموضوع في كتاب د. سعدالله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 367-452، وانظر أيضا:

AGERON CH. Robert, Histoire de l'Algérie contemporaine, PUF, Paris, 1970, p. 36.

[19]- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج6، ص ص 14-30.

[20]- المرجع السابق، ص 30-34.

[21]- المرجع السابق، ص 169.

[22]– المرجع السابق، ص 181–182.

[23]– المرجع السابق، ص 182–183.

[24]– المرجع السابق، ص 316–318.

[25]– سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ج5، ص308–309.

[26]– المصدر السابق، ص 309–213.

[27]– المصدر السابق، ج5، ص 341–342.

[28]– المصدر السابق، ص 350–354.

[29]– المصدر السابق، ص 355–357.

[30]– المصدر السابق، ص 392–393.

[31]–انظر موقع الدساتير الجزائرية:

www.el-mouradia.dz/arabe/symbole/textes/constitution.htm

[32]- Géraud GENESTE, L'Arabisation des Sciences Sociales et Humaines en Algérie, Thèse de Doctorat de troisième cycle en Sciences de l'Education, FLSH, Université de Lyon II, Lyon, 1983, p. 43.

[33]–المصدر السابق، ص 45–47.

[34]–المصدر السابق.

[35]- Christiane SOURIAU, La politique algérienne de l'arabisation, Annuaire de l'Afrique du Nord, Paris, 1977, pp. 367-380.

[36]- Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherches Scientifique, L'Enseignement Supérieur et la Recherche Scientifique en Algérie-50 Années au Service du développement, Alger, 1962-2012, pp. 31-32.

[37]–المصدر السابق، ص 15–16.